مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر 2021، ص – ص221.-242

تاريخ إمارات الساحل المتصالح في كتب الرحالة الأجانب
رحلة ويليام . ج . بلجريف أنموذجاً.

History of the United Arab Emirates through books of Western travelers
William's Journey. G. Palgrave is a model.

سعاد عبدالله الهامور (*)
جامعة الشارقة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، الامارات العربية المتحدة
U18103629@sharjah.ac.ae

د . عبدالله سليمان المغني
أستاذ مساعد قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة
aalmughani@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 21 /2021/02 **تاريخ القبول:** 02 /2021/06 **تاريخ النشر:** 05 /2022/02

الملخص
منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ومنطقة الخليج (والتي من بينها منطقة الإمارات) كانت قبلة للرحالة على اختلاف جنسياتهم ودياناتهم وتوجهاتهم السياسية وأهدافهم، فقاموا بتدوين مشاهداتهم وانطباعاتهم، ومن بينهم الرحالة ويليام . ج . بلجريف والذي كانت رحلته بالغة الأهمية، حيث قام بتدوين مشاهدات وانطباعات متنوعة ومختلفة الجوانب كالاقتصادي والاجتماعي وغيرها، فضلاً عن هذا أن رحلته أصبحت مصدراً للدراسات التاريخية. وخلصت الدراسة أنه لا ننكر بأن كتابات بلجريف كانت أحد المصادر التي تناولت تاريخ الإمارات خلال تلك الحقبة التي لم يكن فيها للتدوين أي اهتمام من أبناء المنطقة، إضافة إلى أن رحلته كانت ولازالت رافداً لا غنى عنه في الكتابة التاريخية للمنطقة.

الكلمات الدالة: الإمارات ؛ الرحالة الغربيين ؛ ويليام بلجريف.

Abstrac: Since the beginning of the nineteenth century AD, the Gulf region, which includes the Emirates region, has been a destination for travelers of different nationalities, religions, political orientations, and goals, whose their concern was on recording their observations and impressions about the region. Among them was the traveler, William. C.

*المؤلف المرسل

Belgrave, whose journey had a great importance, as he recorded various observations and impressions in various aspects such as economic, social fields and others. In addition to this, his trip became a great resource for historical studies. The study concluded that we do not deny that Belgrave's writings were one of the sources that dealt with the history of the Emirates during that era in which documentation did not have any interest from the people of the region. In addition to that his journey was and still is an indispensable tributary of the historical writing of the region..

Keywords: Emirates ; Western travelers ; William Palgrave.

1. المقدمة :

لا يخفى على أحد الأهداف التي جاء من أجلها الرحالة الأجانب، فقد جابوا المنطقة لأسباب ودوافع متنوعة، وبغض النظر عن أهدافهم من الترحال، فقد وجدنا في مدوناتهم وكتبهم الكثير من الوصف الدقيق للسكان والعمران والاقتصاد، إضافة إلى البيئة الجغرافية والتضاريس، وهذا بدوره كان أحد العوامل التي ساعدت على حفظ التاريخ بأنواعه سواء كان سياسياً أو اقتصادياً أو حتى اجتماعياً.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتتناول رحلة الرحالة البريطاني ويليام جيفورد بلجريف، والذي زار منطقة الإمارات خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وما جاء في رحلته من تقارير وكذلك تقييم المعلومات التي أوردها، حيث قام بتدوين العديد من التفاصيل ذات الأهمية في الجانب الاقتصادي والاجتماعي والتي لم يتطرق إليها من سبقوه في رحلاتهم للمنطقة.

2. أهمية رحلة ويليام بلجريف:

تعتبر رحلة ويليم بلجريف من أكثر الرحلات أهمية، وذلك لأنها كانت بمثابة إحدى طلائع الرحلات الغربية للمنطقة، إضافة إلى أن صاحب هذه الرحلة قام بتدوين الكثير من المشاهدات والملاحظات والتي لم يسبقه إليها أحد، وعليه فلابد من تناول شخصية بلجريف قبل تناول تفاصيل رحلته للمنطقة.

1.2 . المؤلف (نشأته وحياته):

ينحدر وليم بلجريف من عائلة فيكتورية يهودية من أهل النخبة، ولد عام 1826م، والده هو فرانسيس مائير كوهين وهو ممن عملوا في دائرة السجلات في البرلمان البريطاني حيث كان شغوفاً بالوثائق، كما شارك في تأسيس مكتب السجلات العام إضافة إلى المشاركة في إنشاء الموسوعة البريطانية. أما والدته فكانت نصرانية وبعد زواجها من فرانسيس بدل ديانته من اليهودية إلى النصرانية البروتستانتية[1] .

لقد كان بلجريف يهوى المغامرة، الأمر الذي دفعه للانضمام لفرقة المشاة التابعة للجيش البريطاني في بومباي، وبالتالي كانت هذه إحدى الطرق التي من خلالها استطاع المرور بالبلاد العربية ، أما بالنسبة لمعتقداته الدينية، فقد كان في بداية حياته يهودياً ثم تحول إلى النصرانية، ومع الوقت أصبح منصراً، بل المسؤول الأول عن البعثات التنصيرية المنطلقة من لبنان، كما قام بتقديم المحاضرات الرامية إلى العمل على تنصير سكان شبه الجزيرة العربية. كان بلجريف من أمهر المستشرقين[2]، كما كان يعتنق الفكر الإمبريالي ، ويستدل على ذلك بالتقارير السياسية التي كان يرفعها إلى نابليون الثالث إمبراطور فرنسا (1852م _ 1870م) ولاتزال موجودة في ملفات الخارجية الفرنسية حتى اليوم [3].

لقد أعد نفسه جيداً قبل الوصول للمنطقة، فغلّف رحلته وعلّلها بأسباب جغرافية وأدبية، وظل الاعتقاد سائداً عنه كذلك حتى وفاته في عام 1888م (الفارس، 1997، ص151)، فدرس اللغة العربية فضلاً عن إجادته للغة الفرنسية والألمانية والإيطالية واللاتينية، إضافة إلى معرفته للاتينية القديمة، وقد مكنته معرفته باللغة العربية وبالتاريخ والسياسة من أن يقدم صورة دقيقة عن الحياة العربية [4] .

كما أنه درس مقرراً في طب المناطق الحارة، وبعدها تنكر في شخصية طبيب عربي، وفي بعض الأحيان تنكر تحت غطاء تاجر متجول، وتسمى باسم سليم أبو محمود العيسى بعد أن تظاهر بالإسلام، فبدأ رحلته في البلاد العربية من القاهرة إلى منطقة معان 1862م، ومن معان بدأ عبور الجزيرة العربية، حيث بدأ بشمال الجزيرة ونجد وأجزاء من المنطقة الشرقية إضافة إلى البحرين وقطر والكويت. وقال قال عن نفسه : " كنت أرتدي زي طبيب أو إن شئت فقل طبيباً دجالاً" وعن أدويته يقول: " بأنها بلغت خمسين صندوقاً تحتوي ما يكفي لشفاء أو قتل نصف مرضى الجزيرة العربية"[5]، ويضيف في موقع آخر من مذكراته: " وأنا هنا .. أستميح كلية الطب عذراً .. على انتحال صفة الطبيب التي أنا عليها الآن، فأنا لم أحصل على أي درجة علمية"[6].

في شخصية بلجريف نجد تداخل أكثر من شخصية أو دافعاً أثناء رحلاته وكتاباته، ومن هذه الدوافع:

1-اتخذ من مهنة الطب وسيلة من وسائل التقرب من أبناء المنطقة، وبالتالي التقرب من الأحداث.

2-كان دارساً وباحثاً سياسياً وإن جاز التعبير كان جاسوساً، ذو محاولات عديدة للكشف عن مجالات الامتيازات في جزيرة العرب، وذلك لحساب فرنسا.

3-كان مغامراً، حيث قام خلال رحلته التي تنقل فيها بين أكثر من مدينة وقرية ومنطقة جغرافية بجمع مادة علمية أصيلة من أفواه الناس، إضافة إلى ملاحظاته الشخصية، ليكون نتيجة هذه الرحلة التاريخية كتاب في مجلدين تناول العديد من المناطق والمواضيع الطبيعية والبشرية (كتاب وسط الجزيرة العربية وشرقها.

وبناء على هذا الازدواج في شخصيته، فإن ما قام بتدوينه لا يجب أن نتعامل معه على أنه من المسلمات، فبعض المعلومات بحاجة إلى تمحيص والبعض الآخر قد تكون من نسج خياله للفت الانتباه إلى ما قام بتدوينه، وإعطائه قيمة كبيرة.

4- كانت له نزعة تنصيرية وإن لم تتضح بصورة جلية في الإمارات ولكن نستشفها من خلال كتاباته التي تناولت ذكر العرب والمسلمين بشيء من الانتقاص والتصغير، فهو متقلب وغير ثابت في أفكاره وعقيدته، فعلى الرغم من أن والده يهودي، إلى أنه انضم إلى جماعة الآباء اليسوعيين النصرانية حتى أصبح قسيساً، ثم تحول من المذهب الكاثوليكي إلى البروتستانتي.

2.2 الرحلة:

تتجلى الرحلة التي قام بها ويليام بلجريف أهميتها من من شخصية صاحبها التي تحدثنا عنه سابقاً، ومن الفترة الزمنية التي حدثت فيه 1862/ 1863 في منطقة الخليج حيث لا يوجد مراجع تعود لهذه الفترة ، حيث تنقل بين أكثر من دولة وأكثر من مدينة في الدولة الواحدة، إضافة إلى المعلومات الثرية التي ذكرها في كتابه بعد انتهائه من الرحلة والمتصلة بالعديد من الجوانب الديموغرافية والأنثروبولوجية والأثرية والجيولوجية والنباتية والتي غابت عن كثير ممن سبقوه من الرحالة.

3.2 . تأريخ رحلته إلى الإمارات :

لقد زار بلجريف ساحل عمان، كما كان يطلق على دولة الإمارات قبل قيام الاتحاد، وذلك في صبيحة يوم 16/ فبراير/ 1863م، عندما رست سفينته في مرفأ الشارقة، وقد ظل في منطقة الإمارات ما يزيد على الشهرين متنقلاً بين إمارات الساحل[7] .

3.3. أهداف الرحلة:

جمعت رحلة ويليام بلجريف بين الأهداف الشخصية والدينية والسياسية، فقد ذكر في كتابه (وسط الجزيرة العربية وشرقها)، فقد استعد بلجريف جيداً للرحلة الخطيرة وهي عبور الجزيرة العربية من شمالها إلى شرقها. وكان مما يدغدغ مخيلته هو أن يزور مناطق لم يسبق للأوروبيين زيارتها مثل المناطق

الداخلية في نجد، التي لم تكن معروفة لهم، وكان أول من زارها سادلير قبل أربعين سنة مضت على رحلة بلجريف، وكانت رحلة سادلير سريعة ومحددة لا تشفي الغرض السياسي والديني والتبشيري الذي يحلم به بلجريف[8] .

إن الهدف والسبب الحقيقي الكامن وراء رحلته الاستكشافية، أنه كان يحدوه الأمل الكبير في تحريك مياه الشرق الراكدة حتى تلحق بأنهار التقدم الأوروبي وتتصل بها، إضافة إلى دافع الرغبة في الاستكشاف الذي كان يستحوذ على قلوب الإنجليز[9] ، ونضيف هنا دافعاً آخر ألا وهو أنه كان وقت قيامه بهذه الرحلة منضماً إلى الجمعية اليسوعية، تلك الجمعية التي اشتهرت في حوليات التاريخ بأعمالها الخيرة والتي كان تمويلها من قبل الإمبراطور الفرنسي .[10]

نضيف إلى ذلك أنه من أهداف رحلة بلجريف إلى المنطقة هو اهتمامات فرنسا التوسعية ومنافسة النفوذ البريطاني في تلك الفترة، فهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، والتي تسعى إليها كبرى الدول الاستعمارية في تلك الحقبة، وهي دراسة المناطق والشعوب التي يمكن أن تكون أهدافاً مستقبلية لهم .[11]

كما أقر بلجريف بنفسه حول هدفه من هذه الرحلة عندما قال: " إن هدفي الرئيس ... ، هو إعطاء فكرة صحيحة إلى حد بعيد عن العرق العربي، وعن حالته الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية ". كما كان له غرض آخر، ألا وهو نشر الدين المسيحي، فقد كان يعتقد أن عرب الجزيرة مستعدون لتقبل ذلك الدين .[12]

4.3. الإمارات في رحلة بلجريف:

تعتبر رحلة بلجريف مادة ثرية لمعلومات متنوعة عن الأوضاع المختلفة للإمارات، فقد تطرق بلجريف إلى أكثر من جانب من جوانب الحياة فيها، فقد زار جزيرة أبوموسى الشارقة، دبي، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة.

مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 07 ،العدد 03 ديسمبر ،2021 ص – ص221.-242

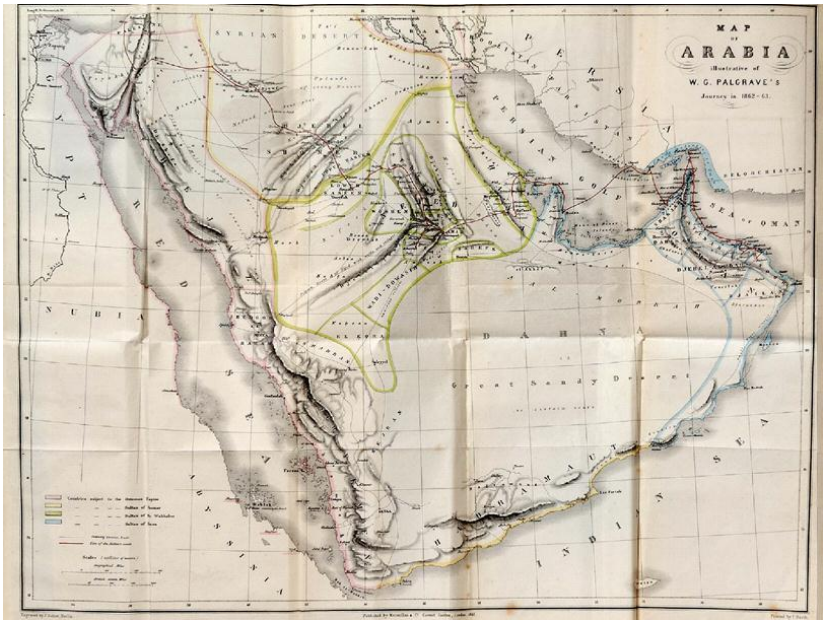

خريطة توضح المناطق التي زارها الرحالة بلجريف خلال رحلته للجزيرة العربية والتي من بينها الإمارات 1863م (خط السير باللون الأزرق)

المصدر: Palgrave, William, Central and Eastern Arabia.

ومن هذا المنطلق فضلت تناول معلومات الرحلة عن الإمارات ضمن موضوعات محددة طبيعية كانت أو بشرية، تمكن القارئ والباحث من تصور لأوضاعها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

4. المظاهر الطبيعية:

من الأماكن التي عرّج عليها بلجريف في الخليج العربي، جزيرة أبوموسى الواقعة تحت حكم القواسم، حيث كان وصفه للظواهر الطبيعية لندرة السكان عليها، فوصفها بأنها جزيرة مخروطية الشكل ذات مظهر بركاني وتعلوها التكوينات البازلتية، كما تغطيها بعض الحشائش والشجيرات، وأشار إلى وجود الآبار المالحة في جزء منها. كما ذكر أن الشيخ خالد بن سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة كان يرسل جزءاً من ماشيته للرعي فيها خلال فصل الشتاء[13]. وهذه المعلومة غاية في الأهمية، تكمن في أن جزيرة أبوموسى تابعة سياسياً لحكم القواسم.

وصف بلجريف السواحل والمرافئ قائلاً بأن ساحل الإمارات الممتد من أبوظبي إلى دبي طويلاً ومنخفضاً ورملياً، أما المرافئ فأشار إلى أنها تختلف في اتساعها وعمق مياهها من جزء إلى آخر، وهذا بدوره يؤثر بصورة واضحة في عملية الملاحة ورسو السفن الكبيرة فيها[14].

أيضاً من الظواهر الطبيعية التي تطرق إليها بلجريف عندما تحدث عن المناخ، فقد وصفه بأنه طقس لطيف مقارنة بالجو في مناطق أخرى من الجزيرة العربية التي جابها، ويعود السبب في ذلك إلى أمرين: أولهما هو وقوع الإمارات على الساحل وبالتالي تأثرها بمناخ البحر الذي يلطف درجة الحرارة، والأمر الثاني وهو أنه عندما وصل إلى الإمارات كان في شهر فبراير، وهو أحد أشهر فصل الشتاء[15]، وعليه نخرج باستنتاج أن وصف بلجريف للمناخ يجب ألا نتعامل

معه بمصداقية تامة لأنه كان وصفاً للجو خلال شهر واحد فقط من شهور السنة التي لم يتواجد فيها الرحالة في الإمارات.

ثانياً: المظاهر البشرية والتي تمثلت في الآتي:

5.الأوضاع السياسية والتنظيم الإداري:

تحدث ويليام بلجريف بشيء الإيجاز عن الجانب السياسي والإداري في الإمارات التي زارها، ويتضح ذلك من خلال ذكره لكلمة مدينة وكلمة قرية وأحياناً أخرى كلمة بلدة، أيضاً تحدث عن وجود حاكم لا سيما عند حديثه عن مدينة الشارقة بإسهاب كبير، وتحدث عن القواسم عندما تناول بحديثه بلدة رأس الخيمة كما أطلق عليها، وهنا نشير إلى كلمة القراصنة التي استخدمها بلجريف عند حديثه عن القواسم، وهو الوصف الذي أطلقته بريطانيا على أبناء المنطقة عندما قاموا بالدفاع عن أراضيهم.

وعند حديثه عن الشارقة، وصفها بأنها مدينة، وتحدث عن أسوارها من ناحية البر إضافة إلى وجود قلعة بها والتي كان يتخذها الشيخ خالد بن سلطان بن صقر القاسمي سكناً له، وذكر بلجريف بأنه تكاد تتشابه طرق البناء في جميع الإمارات في تلك الفترة من حيث وجود بيت الحكم وسط المدينة [16].

وتجدر الإشارة هنا أن بلجريف عندما تحدث عن هذه القلعة أو الحصن ذكره بأنه أبرز مبنى في المدينة، لدرجة أنه نشأ تقليد وضع " برج الشارقة " على العديد من الخرائط بدلاً من كتابة اسم المدينة [17]، وهذا إذا ما دل فإنه يدل على أهمية هذا المبنى السياسي في المدينة.

أيضاً من الأوضاع السياسية التي تناولها بلجريف في الإمارات وجود الوكيل البريطاني في الشارقة، والذي كان يرسل تقاريره إلى المقيم البريطاني في مدينة بوشهر الإيرانية لمعرفة كل شاردة وواردة في المنطقة، وقد تم اختيار مدينة الشارقة كمقر لإقامة الوكيل الوطني لأنها كانت

الأبرز في تلك الفترة، كما كانت عاصمة إمارة القواسم ومقراً لزعيمهم الشيخ سلطان بن صقر القاسمي [18] .

وعندما وصل إلى عجمان وصفها بأنها بلدة صغيرة من بلدات القواسم، وهذا دليل على وجود نوع من التبعية السياسية والإدارية لعجمان تحت سيادة القواسم خلال تلك الفترة[19]. أما في إمارة رأس الخيمة وبالتحديد منطقة رؤوس الجبال حيث توجد قبائل الشحوح، ذكر بلجريف أن لكل قبيلة من قبائل الشحوح زعيمها الخاص، ولا أحد يزعم بامتلاك سلطة مطلقة على البقية [20].

6.الأوضاع الاقتصادية:

سرد الرحالة بلجريف بعض الملاحظات عن الحالة الاقتصادية في الإمارات، وبالتحديد مدينة الشارقة، التي استحوذت منه على النصيب الأكبر من ملاحظاته وذلك بسبب مكانتها المتميزة خلال تلك الفترة لا سيما في الجانب السياسي والاقتصادي، أما بقية الإمارات والمدن الأخرى، فقد تناول وضعها الاقتصادي بإيجاز شديد وملاحظات قليلة .

فالشارقة تمثل على الساحل الغربي للخليج العربي ما تمثله لنجة على الساحل الشرقي، أي أنها مركز تجاري واستيراد كبير ونقطة التقاء للتجارة البرية والبحرية، فإلى الشارقة تصل كل المنتجات الصادرة من غرب عمان من قطن وصوف ومعادن، وفيها تتم صفقات الجمال والجياد، فقد كان يوجد سوق رئيس لها وهذا دليل على نشاط الحركة التجارية من حيث البيع والشراء، كما يوجد بها مركز سوق الرقيق في الخليج، فقد كانت تجارة الرقيق مزدهرة جداً في الشارقة، فهي تجارة مربحة للكثير من التجار، يضاف إلى ذلك من طريق الشارقة تصل بضائع فارس والهند إلى الأراضي المجاورة، إن هذا التيار التجاري المستمر الذي لا ينقطع أعطى الشارقة جواً من الحركة ومن الثراء لا نجدهما في أي مرفأ عربي آخر على الخليج العربي [21] .

حيث ذكر بأنه شاهد لأول مرة عينات جميلة من الزركشات الفضية والذهبية الجميلة التي تستعمل في تزيين الأسلحة، علاوة على بعض أنواع الأواني والفناجين، وهذه الزركشات تصل من الكمال والدقة حداً يصعب أن تراه في مكان آخر، وهذا النوع من الحرف اليدوية يعيش منه عدد كبير من الأسر في المدن الكبيرة، وذكر بأن الذهب المستعمل في هذه المشغولات يتم استيراده من الهند.[22]

وأسهب بلجريف في حديثه عن سوق الشارقة ومتاجره فوصفه بأنه يقع في الطرف الجنوبي من مدينة الشارقة، وبأنه سوق كبير مقسم إلى عدة أسواق، وفي منتصف ذلك السوق توجد القيسارية (وأحياناً يعرف باسم مبنى القيصرية)، أيضاً أشار إلى وجود الخزائن الخاصة بالعملات ودفاتر تشبه دفاتر رجال المال والأعمال من حيث الحجم والشكل، أيضاً تطرق إلى جنسيات التجار فذكر منهم الهندوس الذين يعرضون بضاعتهم كالشالات الكشميرية والمصنوعات البنغالية والأسلحة الفارسية والمجوهرات المتنوعة ،الأمر الذي نجم عنه كثرة الزبائن فيه. تحدث أيضاً عن الحي الشمالي من المدينة والذي يضم عدد كبير من منشآت النساجين والتي تقوم بصناعة الثياب القطنية والسجاجيد والستائر[23].

أما عندما تناول حديثه عن دبي وصفها بأنها مدينة مزدحمة بالسكان، وبسبب فقرها لم يستدع الأمر تحصينها بالأسوار حيث لم تكن تغري قطاع الطرق للإغارة عليها إضافة إلى إمكانياتها الضعيفة لم تساعدها على بناء الأسوار[24].

تحدث أيضاً بلجريف عن حرفة رئيسة لجميع أبناء السواحل في المنطقة، ألا وهي حرفة صيد السمك حيث يتم تسويقه للمناطق الأخرى بعد اصطياده[25]، .وهنا نستنتج من وصف بلجريف أنه على الرغم من قلة عدد السكان في الإمارات إلا أنهم كانوا متوزعين على المدن والقرى المنتشرة على طول الساحل، وهذا الانتشار ساعد على تكوين مرافئ صغيرة لاستقبال السفن ومراكب الصيد.

ومن المهن التي تناولها بلجريف مهنة الغوص على اللؤلؤ، فقد ذكر بأنها كانت صناعة متكاملة تدريرها طبقة ميسورة مادياً، وتتعدد فيها درجات العاملين بها، فبالإضافة إلى الممولين ومعظمهم من الهنود، هناك أيضاً الطواويش إضافة إلى ملّاك السفن والنواخذة وطبقات العاملين على السفن، وهذه الصناعة بتركيبتها المعقدة لم تتح للقرى الصغيرة فرصة مارستها منفردة، وعلى الرغم من كبر حجم تلك القرى إلا أنها ظلت فقيرة ومعزولة لفترة طويلة من الزمن. كما تطرق إلى أغاني البحر عند حديثه عن مهنة الغوص، والتي يقوم النهامون بأدائها خلال رحلاتهم وذلك للقضاء على الملل والرتابة خلال عملهم المجهد هذا.[26]

هناك صناعة يدوية لم يغفل عنها بلجريف، ألا وهي صناعة الأسلحة سواء كانت بغرض الزينة أو الدفاع عن النفس، فقد كان حمل السلاح عادة يتصف بها كل أبناء المنطقة، فهي دلالة على الرجولة والصلابة عند أبناء المجتمع[27].

من الأمور الاقتصادية التي تطرق إليها بلجريف أيضاً، أن النشاط الاقتصادي يحظى بالعمالة الأجنبية من عدة دول وأعراق، ولابد من الإشارة هنا إلى أكثر عرق منتشر في الإمارات خلال تلك الفترة هو الهندي، ويعود السبب في كثرة تواجدهم كونهم رعايا بريطانيين، ومنهم ممولين لسفن الغوص، ومع الوقت أصبحوا وكلاء لشركات الملاحة البريطانية التي أصبحت بديلاً عن السفن الشراعية منذ عام 1862م.

أيضاً كانت توجد العمالة الإيرانية وبالتحديد فئة التجار، ولم يتحدث بلجريف عن أية عمالة تنتمي لجنسية عربية، ويعود السبب في ذلك إلى سياسة الانغلاق التي فرضتها بريطانيا على الإمارات.

وختم بلجريف ملاحظاته حول الوضع الاقتصادي قائلاً بأنه لو تم الاهتمام أكثر بالموانئ والأخوار الموجودة على الساحل، لأدى هذا الأمر إلى المزيد من النهضة الاقتصادية.[28]

6.الأوضاع الاجتماعية:

قدم بلجريف مادة ثرية جداً تتعلق بالجانب الاجتماعي للسكان في المنطقة، فعندما نمعن النظر في المؤلف الذي تركه بلجريف، فإننا نستطيع الوصول إلى معلومات على مستوى عال من الأهمية حول بعض الأوضاع الاجتماعية والعادات والتقاليد في المجتمع الإماراتي، ولعل أول ما يمكن ملاحظته من خلال الرحلة هو وجود فئات متعددة في المجتمع، أبرزها:

1-فئة الحكام.

2-فئة التجار وخصوصاً ملاك سفن صيد السمك والغوص على اللؤلؤ.

3-فئة المزارعين.

4-فئة البدو.

5-فئة العاملين في الغوص على اللؤلؤ.

6-فئة العبيد .

ولم يتطرق بلجريف في ثنايا كتابه إلى أي فوارق اجتماعية بين فئات المجتمع في إمارات الساحل، فقد كانت هذه الفئات مكملة لبعضها البعض، وتعيش بانسجام وتآلف وهذا إذا ما دل فإنه يد على انصهار جميع الفئات في قالب واحد .

تحدث بلجريف عن ملامح سكان الإمارات الجسدية، فوصفهم بأنهم ذوو أجسام رشيقة ومشية متمهلة[29]، وقد يعود السبب في ذلك إلى قلة الطعام بسبب الفقر ومشقة العمل وصعوبة الحياة .

كما وصف الزي المحلي لأبناء الإمارات وتحديداً الرجال، حيث تناوله بشيء من التفصيل نستطيع أن نذكره بشيء من الإيجاز، فقد وصفه بأنه عبارة عن قطعة قماش عريضة بيضاء ملفوفة حول الخاصرة وحتى الركبتين، والتي تعرف باسم الإزار، مع عمامة على الرأس[30]. أيضاً أشار إلى ارتداء الخنجر على حزام كل رجل حر، فقد كان ارتداؤه لأغراض المظهر أكثر من كونه للاستعمال.[31]

وأشاد بلجريف بأخلاق أبناء الإمارات، من خلال وصفه لهم بقوله أنهم يتمتعون بالأمانة وحسن الطبع وكرم الضيافة، كما قال عنهم بأنهم مضيافون وعلى قدر من الأخلاق والطيبة، ودلل على ذلك بقوله صرفنا الساعات في الزيارات وتلبية الدعوات على الغداء والعشاء، فالضيف في هذه البلاد يجد أصناف طعام عديدة، كالأرز واللحم والسمك والبيض والعسل والزبدة والتمر والخبز.[32]

كما تحدث بلجريف عن بعض المفردات اللغوية الإماراتية التي تستخدم للترحاب ولم يغفل عن معناها، وهذا إذا مادل فإنه يدل على مدى قوة ملاحظته وتمكنه من اللغة العربية التي أتقنها، حيث قال عنه سمير عطا الله في كتابه قافلة الحبر أن بلجريف كان أحد أمهر المستشرقين وقد أجاد العربية إلى درجة أخذ يعتبرها لغته الأم. ومن تلك المفردات التي وردت في كتاب بلجريف: استبدال كلمة سم بدلا من كلمة باسم الله، والتي تستخدم في مواضع كثيرة وليس فقط عند تناول الطعام، إضافة إلى كلمات ومصطلحات أخرى.[33]

أيضاً تطرق إ لى موضوع اختلاف اللهجة بين مناطق الإمارات بعد أن وصل إلى منطقة رؤوس الجبال وبالتحديد قرية شعم التابعة حالياً إلى إمارة رأس الخيمة، حيث استطاع تمييز لهجتهم عن بقية الإمارات وهذا دليل على تمرسه من اللغة العربية. فقد ذكر لوريمر أن قبائل الشحوح يتحدثون لهجة خاصة بهم لا يفهمها إلا من عايشهم فترة طويلة، كما نوه إلى أمر هام وهو أن وجود هذه اللهجة بين قبائل الشحوح هي نتيجة حتمية لعزلتهم الطويلة وتكوينهم مجتمعاً خاصاً بهم في الجبال.[34]

7.العمارة:

أشار بلجريف في أكثر في موضع لكلمة أحياء، وهذا دليل على وجود تخطيط عمراني في الإمارات منذ تلك الفترة. كما أشار إلى تنوع المواد المستخدمة في البناء في إمارات الساحل ،

فعندما تحدث عن الأسوار المحيطة بالمدن ذكر بأن مادة البناء المستخدمة كانت عبارة عن حجارة رملية حمراء مائلة إلى الصفرة[35].

وعندما تحدث عن المنازل ذكر بأنه تم تشييدها من الخشب وسعف النخيل – وهي الأكثر انتشاراً – وتكون على شكل أكواخ ممتدة على طول الساحل، إضافة إلى وجود بيوت أخرى مبنية من الطين والأحجار – أصحابها مقتدرين مادياً – ، والبيوت هنا متراصة تتخللها أزقة ضيقة، وسواء كانت البيوت من السعف أو من الطين، فقد كان تركز السكان هو على السواحل بسبب نشاط الحركة التجارية فيه مقارنة بالداخل[36].

8.الشعائر الإسلامية والمساجد وموقف بلجريف من الدين الإسلامي:

من الأمور التي لفتت انتباه بلجريف في الإمارات هو تمسك المسلمين بدينهم، إضافة إلى اهتمام الحكام بالجانب الديني من خلال بنائهم للعديد من المساجد في أماكن عدة من المدن، وذكر بأن الحاكم يمثل العقيدة الراسخة، وأن المساجد تدعو للإعجاب والتأمل الديني وذلك بسبب الهدوء والسكينة التي تلفها، وأكد بلجريف أنه دخل المسجد أكثر من مرة عند وقت الصلاة) ، [37]وللعلم فهناك من قال بأنه اعتنق الإسلام سراً وهناك من أنكر عليه هذا الأمر.

9.نهاية الرحلة :

كان بلجريف مرغماً على أن يتخلى عن فكرة اكتشاف البر الداخلي لساحل الإمارات وعمان، وعلل ذلك قائلاً عن نفسه: لم أستطع أن أختبر بنفسي المناطق الداخلية فحصاً دقيقاً وشاملاً كما أود أن أفعل، وكان السبب الرئيس في عدم قدرته على القيام بذلك هو طول الفترة التي استغرقتها الرحلة، وتحمله للكثير من الصعاب، الأمر الذي أدى إلى اعتلال صحته ووهن قواه، لدرجة خيل له أن نهايته قربت وأيامه أصبحت معدودة، لا سيما بعد إصابته بحمى التيفوئيد، وبهذا فقد أمضى بلجريف في الإمارات ما يزيد على الشهرين بعدها غادر المنطقة[38]

. لكن السبب الأهم هو أن هويته كأوروبي كانت قد انكشفت، وبهذه الطريقة انتهت الرحلة الأهم والأكثر شهرة بين الرحلات التي قام بها الرحالة الأجانب لجزيرة العرب[39]، والتي لم يقيض له أن يعود إليه.

10.الخاتمة

لعل هذه أهم المواضيع التي جاءت في رحلة ويليم بلجريف لإمارات الساحل والتي نخلص في نهايتها إلى مجموعة من النتائج، لعل أبرزها:

1-أن رحلة بلجريف أصبحت وبدرجة قوية رافداً مهماً للكتابة التاريخية، فكتابه (رحلة في وسط الجزيرة العربية وشرقها) ظل علامة بارزة في أدب الرحلات المتعلقة بالجزيرة العربية، ويعد من وجهة نظر المؤرخين أحد أهم الكتب التي يرجع إليها في دراسة تاريخ الإمارات خلال الفترة (1863) لكونه من أوائل ما كتب الرحالة الذين زاروا الإمارات خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

2-أن ما ذكره في مؤلفه حول مجتمع الإمارات، سيظل يحتفظ بقيمته كونه صورة حية لحياة السكان خلال تلك الفترة .

3-محاولة بلجريف لممارسة التبشير باءت بالفشل الذريع في المنطقة، ولذلك لأن سكان المنطقة أصحاب عقيدة راسخة.

4- ما ذكره بلجريف في مذكراته ليست حقائق غير قابلة للنقض، بالتالي يجب توخي الحذر عند الرجوع إليها، فتعدد أهدافه عند قدومه للمنطقة، يلعب دوراً في تدوينه للمعلومات والأوضاع السائدة فيها.

الملاحق

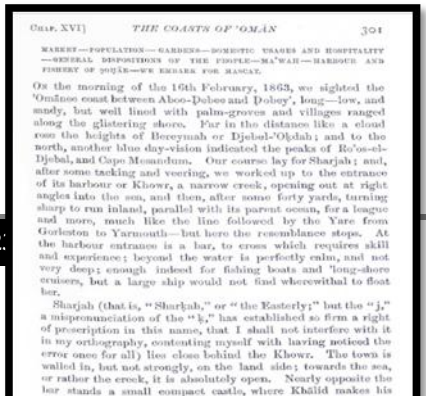
CHAP. XVI] THE COASTS OF 'OMAN 301

MARKET—POPULATION—GARDENS—DOMESTIC USAGES AND HOSPITALITY—GENERAL DISPOSITIONS OF THE PEOPLE—MA'WAH—HARBOUR AND FISHERY OF JOOÁK—WE EMBARK FOR MASCAT.

On the morning of the 16th February, 1863, we sighted the 'Ománee coast between Aboo-Dubee and Dobey', long—low, and sandy, but well lined with palm-groves and villages ranged along the glistering shore. Far in the distance like a cloud rose the heights of Bereymah or Djebel-'Olyáh; and to the north, another blue day-vision indicated the peaks of Ro'os-el-Djebal, and Cape Mesandum. Our course lay for Sharjah; and, after some tacking and veering, we worked up to the entrance of its harbour or Khowr, a narrow creek, opening out at right angles into the sea, and then, after some forty yards, turning sharp to run inland, parallel with its parent ocean, for a league and more, much like the line followed by the Yare from Gorleston to Yarmouth—but here the resemblance stops. At the harbour entrance is a bar, to cross which requires skill and experience; beyond the water is perfectly calm, and not very deep: enough indeed for fishing boats and 'long-shore cruisers, but a large ship would not find wherewithal to float her.

Sharjah (that is, "Sharkah," or "the Easterly;" but the "j," a mispronunciation of the "k," has established so firm a right of prescription in this name, that I shall not interfere with it in my orthography, contenting myself with having noticed the error once for all) lies close behind the Khowr. The town is walled in, but not strongly, on the land side; towards the sea, or rather the creek, it is absolutely open. Nearly opposite the bar stands a small compact castle, where Khálid makes his

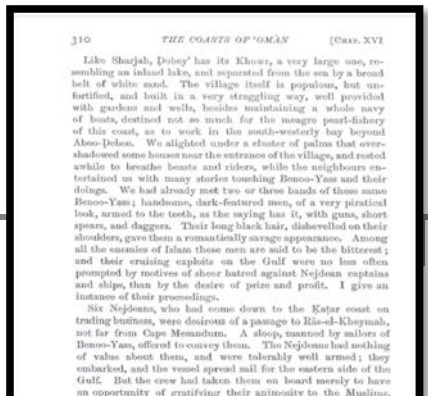
310 THE COASTS OF 'OMAN [CHAP. XVI

Like Sharjah, Dobey' has its Khowr, a very large one, resembling an inland lake, and separated from the sea by a broad belt of white sand. The village itself is populous, but unfortified, and built in a very straggling way, well provided with gardens and wells, besides maintaining a whole navy of boats, destined not so much for the meagre pearl-fishery of this coast, as to work in the south-westerly bay beyond Aboo-Dubee. We alighted under a cluster of palms that overshadowed some houses near the entrance of the village, and rested awhile to breathe beasts and riders, while the neighbours entertained us with many stories touching Beneo-Yass and their doings. We had already met two or three bands of these same Beneo-Yass; handsome, dark-featured men, of a very piratical look, armed to the teeth, as the saying has it, with guns, short spears, and daggers. Their long black hair, dishevelled on their shoulders, gave them a romantically savage appearance. Among all the enemies of Islam these men are said to be the bitterest; and their cruising exploits on the Gulf were no less often prompted by motives of sheer hatred against Nejdean captains and ships, than by the desire of prize and profit. I give an instance of their proceedings.

Six Nejdeans, who had come down to the Katar coast on trading business, were desirous of a passage to Ras-el-Kheymah, not far from Cape Mesandum. A sloop, manned by sailors of Beneo-Yass, offered to convey them. The Nejdeans had nothing of value about them, and were tolerably well armed; they embarked, and the vessel spread sail for the eastern side of the Gulf. But the crew had taken them on board merely to have an opportunity of gratifying their animosity to the Muslims.

ملحق رقم (1)

ملحق رقم (2)

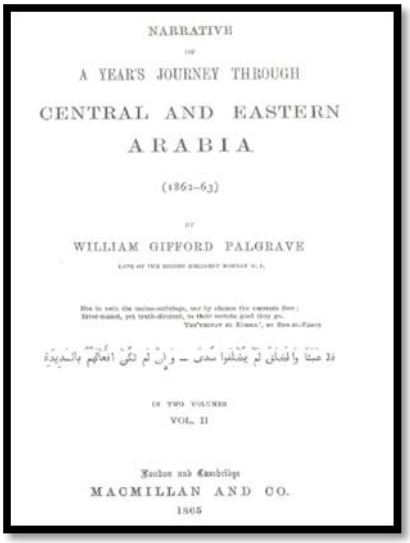

NARRATIVE

OF

A YEAR'S JOURNEY THROUGH

CENTRAL AND EASTERN

ARABIA

(1862-63)

BY

WILLIAM GIFFORD PALGRAVE

IN TWO VOLUMES

VOL. II

London and Cambridge

MACMILLAN AND CO.

1865

ملحق رقم (3)

11.المصادر العربية :

1 – بالغريف، ويليام ، ترجمة غاندي المهتار، 2019، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ج2 ، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي.

المراجع العربية :

1 – تايلور، بايارد، ترجمة رنا جزائري، 2012، الترحال في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، أبوظبي، هيئة أبوظبي للسياحة.

2 – السنجري، عمار، 2016، أخلاق وعادات الإماراتيين في كتابات الرحالة الغربيين، الشارقة، الطبعة الأولى، الشارقة، معهد الشارقة للتراث.

3 – ـــــــ ، 2008، البدو بعيون غربية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

4 – الفارس ، أسعد، 1997 رحالة الغرب في ديار العرب، الكويت، الطبعة الأولى، صقر الخليج للنشر والتوزيع.

5 – الفارس ، أسعد، 1997 رحالة الغرب في ديار العرب، الكويت، الطبعة الأولى، صقر الخليج للنشر والتوزيع.

6 –عطا الله، سمير، 1994، قافلة الحبر.. الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج 1762– 1950، الطبعة الأولى، بيروت، دار الساقي.

المصادر الأجنبية:

1- Palgrave, William, Central and Eastern Arabia.

المراجع الأجنبية:

1 - Allan,Mea.PalgraveOf Arabia.Macmillan,London,1972.

المؤتمرات والندوات:

1 – محمد بن عبدالله آل زلفة،2002، كيف وصف الرحالة ويليام بلجريف أحوال منطقة الخليج العربي، مداولات اللقاء العلمي السنوي الرابع، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الشارقة.

2 – صالح بن محمد بن راشد السنيدي، 2017، بلجريف ومشروع عباس باشا فى الجزيرة العربية، السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية السادس عشر، عرعر.

3 – صالح بن محمد السنيدي، 2017، ويليام بلجريف في الجوف: مشاهدات وانطباعات 1862م/ 1279هـ، مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن عشر : دول مجلس التعاون لدول الخليج العبية عبر العصور، الجوف.

الجرائد والمجلات:

1 – العسكر، عبدالله إبراهيم، 2002، مقال بعنوان (رحلة بلجريف معربة 1 – 2)، صحيفة الرياض، 2002/5/22م

2 – علي عفيفي غازي، 2015 ، رحالة زاروا قطر، مجلة الدانة، العدد39.

3 – بلجريف، 1986، رحلة شاهد عيان للجزيرة العربية والبحرين منذ أكثر من 100 عام، مجلة الوثيقة، المجلد 5، العدد 9.

12.الهوامش

1 تنتمي العائلات الفيكتورية إلى العصر الفيكتوري الذي حدثت فيه الثورة الصناعية خلال حكم الملكة فيكتوريا (1837 – 1901)

2 العسكر، عبدالله إبراهيم، 2002، مقال بعنوان (رحلة بلجريف معربة 1 – 2)، صحيفة الرياض، 2002/5/22م .

عطا الله، سمير، 1994، قافلة الحبر.. الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج 1762- 1950، الطبعة الأولى، بيروت، دار الساقي.

4 الإمبريالي هو من يعتنق السياسة الإمبريالية القائمة على توسيع السلطة والسيطرة باستخدام القوة العسكرية، من خلال الاستيلاء على الأراضي، وهي سياسة غير أخلاقية.

السنجري، عمار، 2008، البدو بعيون غربية، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

6 الفارس ، أسعد، 1997 رحالة الغرب في ديار العرب، الكويت، الطبعة الأولى، صقر الخليج للنشر والتوزيع.

7 علي عفيفي غازي، 2015 ، رحالة زاروا قطر، مجلة الدانة، العدد39.

8 صالح بن محمد بن راشد السنيدي، 2017، بلجريف ومشروع عباس باشا فى الجزيرة العربية، السجل العلمي للقاء الجمعية التاريخية السعودية السادس عشر.

9 المرجع نفسه.

10 Palgrave,William,1865,Central and Eastern Arabia, London, London and Cambridge Macmillan and Co. -

11 جورج سادلير(1789 – 1859) ، ضابط جيش بريطاني ومستكشف، شارك في الحملة البريطانية ضد القواسم عام 1809م، تم تكليفه بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الطبوغرافية عن المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية، وأشهر ما قام بتأليفه هو (رحلة عبر الجزيرة العربية من القطيف على الخليج العربي إلى ينبع على البحر الأحمرخلال عام 1819)

12 العسكر، مرجع سابق .

13 عطا الله، مرجع سابق .

14 صالح بن محمد السنيدي، 2017، ويليام بلجريف في الجوف: مشاهدات وانطباعات 1862م/ 1279هـ، مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن عشر : دول مجلس التعاون لدول الخليج العبية عبر العصور.

15 السنيدي ،المرجع نفسه.

16 غازي، مرجع سابق.

17 الشيخ خالد بن سلطان بن صقر القاسمي، الذي تقلد حكم الشارقة في حياة أبيه سلطان بن صقر القاسمي (أهم شيوخ القواسم الذي حكم لفترة طويلة، وتبوأت إمارة القواسم في عهده مكانة مميزة)، تولى

الشيخ خالد أمور الشارقة عام 1861م، وخلف أباه في حكم إمارة القواسم كلها عام 1866م، حيث امتد نفوذه إلى رأس الخيمة.

18 محمد بن عبدالله آل زلفة،2002، كيف وصف الرحالة ويليام بلجريف أحوال منطقة الخليج العربي، مداولات اللقاء العلمي السنوي الرابع، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

19.Palgrave, previous reference

20 الفارس، محمد، 2012، رحالة وسياسيون زاروا الإمارات والخليج قبل النفط، الطبعة الأولى، أبوظبي، وزارة الإعلام والثقافة.

الفارس، مرجع سابق.

المرجع نفسه.

المرجع نفسه.

المرجع نفسه.

المرجع نفسه.

بالغريف، ويليام ، ترجمة غاندي المهتار، 2019، وسط الجزيرة العربية وشرقها، ج2 ، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي.

Palgrave, previous reference

مبنى طويل فخم تعلوه قبة مشيدة بقوة، بواباتها حديدية تغلق ليلاً لحماية الثروات الموجودة بداخلها، وداخل برج حجري سميك داخل فناء القيصرية توضع ثروة الحكومة.

السنجري، عمار، 2016، أخلاق وعادات الإماراتيين في كتابات الرحالة الغربيين، الشارقة، الطبعة الأولى، الشارقة، معهد الشارقة للتراث.

الفارس، مرجع سابق.

Palgrave, previous reference

الطواويش تسمية محلية تعني صغار التجار المتعاملين ببيع وشراء اللؤلؤ.

النواخذة جمع لكلمة نوخذة وهو ربان السفينة بلهجة أهل الخليج.

النهّامون جمع لكلمة نهّام وهومطرب رحلة البحر يتميز بالصوت الجميل.

الفارس، مرجع سابق.

36 الفارس، المرجع نفسه.

37 الفارس، مرجع سابق.

المرجع نفسه.

مرجع سابق.

آل زلفة، مرجع سابق.

بلجريف، مرجع سابق.

Palgrave, previous reference

الفارس، مرجع سابق.

آل زلفة، مرجع سابق.

الفارس ، مرجع سابق.

Palgrave, previous reference

بلجريف، 1986، رحلة شاهد عيان للجزيرة العربية والبحرين منذ أكثر من 100 عام، مجلة الوثيقة، المجلد 5، العدد 9.

تايلور، بايارد، ترجمة رنا جزائري، 2012، الترحال في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، أبوظبي، هيئة أبوظبي للسياحة.